١٤ وطن على صفيح ساخن

بعيدًا عن سياسات ولهجات التخوين والتخويف المستمرة التي تتبادلها القوى المعارضة للنظام مع جماعة الإخوان المسلمين، فلا بد لنا أن نتفق أن كلا الفريقين على يقين بمغارم التظاهرات شبه اليومية والاعتصامات وإغلاق الميادين العامة وتعطيل المصالح الحكومية وتوقف حركة الإنتاج وإحداث شلل في عملية التحول الديمقراطي والولادة المتعسرة لمصر الجديدة، التي ينشدها الشعب الصامت متوافقًا مع النظام والمعارضة.. إلا أن الكل يختلف على مقدمات تلك الولادة ومدخلات عملية التحول؛ الأمر الذي شوه هذا التحول ووضع مستقبل مصر برمته على حافة الهوية. وأن هذا التحول لعامين كاملين بات يمر ببطء شديد وعلى رفات الشهداء وأنقاض المرافق العامة، وبالشكل الذي جعل المواطن العادي يكفر سرًا وعلنًا بالثورة، ويرى أنه ليس في الفريقين المتصارعين من هو كفء لإدارة البلاد .. والبعض يعتقد أنهما لا يصلحان، ولا يرى في أحدهما بديلًا لنظام مبارك، رغم ما وُصم به من فساد. الأمر الذي جعلنا نقر كمراقبين للمشهد السياسي أن الوطن الآن يمضي لمستقبله حاف وفوق صفيح ساخن.

ورغم خبراتنا العديدة كمصريين بفنون الحوار والإقناع والتفاوض للدرجة التي أصبحنا بها نصد تلك الخبرات لكثير من الدول العربية والأجنبية أحيانًا، إلا أننا فشلنا

في تحقيق أدنى درجات الوفاق الوطني على الأرض، وإذا نحينا فكرة التخوين والتآمر والطموح السياسي لأي الفريقين، تصبح الأزمة الحقيقية في مصر تكمن في قنوات الحوار بين مؤسسة الرئاسة والمعارضة. وأن مصدر هذه الأزمة يكمن في التنافر المعرفي بين الفريقين .. فكل من مؤسسة الرئاسة والمعارضة يتصور بل وعلى يقين بأن على صواب ويمتلك الحقيقة المطلقة والآخر خطأ على طول الخط. وإذا كان لكلا الفريقين قناعاته الشخصية التي تدفعه دفعًا لارتكاب سلوكيات يعتقد هو في صحتها ولا تجني مصر من ورائها إلا الخراب ،، فدعونا نناقش الجميع في قناعاته ونحول حالات التنافر المعرفي بينهما إلى تقارب معرفي، ربما يساعدنا في الوصول إلى الحد الأدنى من الوفاق الوطني.

وهذا يستلزم أن يجتمع الطرفان مع أنفسهما، ليعترف أمام نفسه بأخطاءه وخيانته للثورة، مصارحًا إياها بهدفه من الصراع، هل هو مصر ومستقبلها المنشود، أم الوصول والتمكين من السلطة.

فإذا كان الصراع حقًا من أجل الوصول بمصر إلى صورتها المثلى في أعين ثائريها ومكانتها التي تستحق، فقد سقط الخلاف. أما إذا كان الصراع يضر بالأمن القومي، فيجب إيقافه على الفور. وليس ثمة دليل على تأثر الأمن القومي بهذا الصراع أكثر من تعرض مصر لعمليات إفلاس ربما تكون منظمة أو مقصودة، تشير فيها إصبع الاتهام إلى الفريقين، وربما تجبر الشعب في القريب إلى ثورة جديدة، ليس لإسقاط نظام والإتيان بالبديل، وإنما ثورة من أجل الطعام، ومن ثم وبعد هذه المكاشفة التي تجريها الأطراف المتصارعة مع الذات لا بد لها من لقاء فعلي، يحضره كل طرف ويحضر كل طرف معه قائمة أحلامه وتنازلاته، ويبث الحوار على الهواء مباشرة لتشارك فيه كل أطياف الشعب، وعلى الطرف الذي يرفض الحضور أو المشاركة أن ينبذ من المجتمع

ويوصم بالخيانة العظمى والتآمر، شريطة أن تأتي مؤسسة الرئاسة بنواياها الحسنة وليس حوار من أجل الحوار. وإذا كانت المعارضة قد رفضت دعوة الرئيس للحوار في المرات السابقة. فإنني أدعو الآن القوى المعارضة للإعداد للحوار ودعوة مؤسسة الرئاسة للحضور .. وعلى الرئيس أن يستجيب ليس عن ضعف وإنما حقنًا لدماء الأبرياء وحرصًا على مستقبل الوطن.

□ □ □ □